نظرات فى كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٣ —

١٦ — ص ٣١ يقول ابن قتيبة : « وقد فضح الله بالشراب أقواماً من الأشراف خدوا ، ودونت فى الكتب أخبارهم ولحقت بتلك السبة أعقابهم ، منهم الوليد بن عقبة ، شهد عليه أهل الكوفة بشرب الخمر ، وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران وقال : أزيدكم يشهد الله بذلك ، وبمنادمه أبى زبيد الشاعر — وكان نصرانياً — فحده هناك عمرو بن العاص سراً ، فلما قدم على عمر رضى الله عنه جلده حداً آخر » .

وهذا نص مضطرب أشد الاضطراب ؛ يشوه وجه الحق والتاريخ معاً . فإن الوليد بن عقبة لم يكن والياً للكوفة فى عهد عمر ، وإنما وليها فى عهد عثمان بن عفان ؛ ولم يذهب عمرو بن العاص إلى الكوفة ليحده هناك ، ولم يحد الوليد فى الكوفة وإنما حد فى المدينة ، ولم يشترك عمرو بن العاص فى حده بسبب من الأسباب . والذى حده عمرو فى مصر سراً وأعاد عليه عمر ابن الخطاب ، كما ذكر المؤرخون ، وكما ذكر ابن قتيبة نفسه فى هذا الموضع من كتاب الأشربة . وقد ضلت تلك الحقائق التاريخية عن ذهن كرد على . ولو وجد ريحها لأحس أن فى الكلام سقطاً لا يستقيم معناه إلا بذكره . وهو كما جاء فى النقد نقلا عن ابن قتيبة . « ... وأنه صلى بهم الغداة وهو سكران ثم التفت إليهم فقال : إن شئتم زدتكم . فجلده علىّ بن أبى طالب بين يدى عثمان وكان نديمه أبو زبيد الطائى ، وفيه يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ... لزيدهم خيراً ولا يدرى
لزيدهم خيراً ولو قبلوا ... جمعت بين الشفع والوتر
كبحوا جماحك إذ جربت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجرى

ومنهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب شرب بمصر فحده هناك عمر بن الخطاب سراً . فلما قدم على عمر رضى الله عنه جلده حداً آخر » .

١٧ — وفى صفحة ٣٢ ذكر ابن قتيبة أبيات الأخطل فى نديمه العباس بن عبد الله بن العباس التى أولها :

ولقد غدوت على التجار بمُشْمِعِ ... هرّت عواذله هرير الأكلب

فضل الكياس إذا تغشى لم يكن ... عند الشراب بفاحش متقطب

مر الأستاذ على البيتين الأخيرين ولم يعقب ؛ لأنه لم يدرك معناهما ، ولو أدركه لأصلح ما فيهما من خطأ . وصواب البيت الأول منهما : « خُضِلُ الكِياس إذا تغشى » والخضل : الندى والكياس جمع كأس . وتغشى : أى دخل فى الشتاء .

وصواب البيت الثانى « وإذا تُسُوِّرت الزجاجة » من التساور وهو التداول .

١٨ — ص ٣٢ ذكر ابن قتيبة أن من المفضوحين بشرب الخمر « عبد الرحمن بن عبد الله التقفى القاضى بالكوفة ، فضح بمنادمة سعد بن هبار فقال حارثة بن بدر :

نهاره فى قضايا غير عادلة ... وليله فى هوى سعد بن هبار
ما يسمع الناس أصواتاً لهم عرضت ... إلا دويا دوىّ النحل فى النار
فأصبح القوم أطلاقاً أضر بهم ... حت المطى وما كانوا بسفار
يدين أصحابه فيا يدينهم ... كأساً بكأس وتكراراً بتكرار

ولست أدرى كيف فهم كرد على معنى أن القوم أصبحوا « أطلاقاً » وهى لامعنى لها لأنها محرفة وصوابها « فأصبح القوم أطلاحا » جاء فى لسان العرب : « الطلح والطلاحة : الأعياء ، وجمع طلح : أطلاح وطلاح » .

١٩ — ص ٣٤ يتابع ابن قتيبة حديثه عمن فضح بالشراب فيقول : « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير ، وفيه يقول القائل :

إذا أنت نادمت التيرو ذا الندى ... حبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا
أمنت بإذن الله أن تقرع العصا ... وأن يوقظوا من رقدة السكر راقدا

وصرت بحمد الله في خير فتية حسان الوجوه لا تخاف المرابدا

والعجب عندي من قوله : وأن يوقظوا من نومة السكر راقداً وأكثر ما يوقظ السكران للصلاة ، أفتراهم حدهم على تركه إيقاظه للصلاة إذا سكر » .

والصواب « وذا الندى جبيراً » والرواية الصحيحة التي رواها ابن قتيبة كما ذكرها في الجملة السابقة هي : « وأن يوقظوا من نومة السكر راقدا » . ولكن الأستاذ لم يفطن لذلك التخالف البين بين رواية البيت والرواية التي يتحدث عنها ابن قتيبة . وصواب الجملة الأخيرة : « ... أفتراه حدهم ... » على أن في هذا النص خطأ تاريخيا كبيراً لم يلحظه الأستاذ ، وهو من أوهام الناسخين الناسخين وليس من أوهام المؤلف ، فإن ابن قتيبة لم يقل « ومنهم خالد بن عمرو بن الزبير » وإنما قال : « ومنهم خالد ابن أيوب الأنصاري » وقد أشار إلى ذلك في كتاب المعارف ص ١٠٥ ، ١٠٦ في ثنايا حديثه عن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : « وسهيل عقب بالمدينة . منهم عتبر بن سهيل وكان صاحب شراب وفيه يقول الشاعر :

إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالداً

وجبير هو ابن أيمن ابن أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وخالد هو ابن أبي أيوب الأنصاري » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل هذا الشعر لا في كتاب المعارف ولا في كتاب الأشربة ، وهو السريّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عويم ابن ساعدة الأنصاري . قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ١٨/٢٥ « والسري شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمكثر ولا مقل ، إلا أنه كان أحد الفتيان ، والفتيان المنادمين على الشراب ، كان هو وعتير بن سهيل ابن عبد الرحمن بن عوف ، وجبريل ابن أيمن ، وخالد بن أبي أيوب الأنصاري يتنادمون ، وفيهم يقول : إذا أنت نادمت العتير وذا الندى جبيراً وعاطيت الزجاجة خالدا

وذكر بقية الأبيات ثم أعاد روايتها مرتين في ص ٦٧ ، ٦٦ وروى في هذه الصفحة أنهم قالوا له : « قبحك الله ما ذا أردت إلى التنبيه علينا ، والإذاعة لسرنا ؟ إنك لحقيق أن لا ننادمك ، قال والله ما أردت بكم سوءاً ، ولكنه شعر طفح فقلته عن صدري ... »

٢٠ — ص ٣٤ يقول ابن قتيبة « وهذا أبو محجن الثقفي شهد يوم القادسية وأبلى بلاء حسناً ، شهر وكان فيمن شهد ذلك اليوم عمرو بن معدي كرب فقال عليه ، وهو القائل :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

وهذا نص مضطرب جداً لا معنى له وقد مر عليه الأستاذ مرور الكرام كما يقال وكأنه قد فهمه ، ما معنى « فقال عليه » وما معنى إقحام « عمرو بن معدي كرب » هنا ؟ لست أدري ولعل الأستاذ يتفضل علينا وعلى القراء ببيان معناه .

٢١ — ص ٣٥ « قال العتبي شعراً ذكر فيه كثيراً من مقابح السكر :

دع التبيذ تكن عدلا وإن كثرت فيك العيوب وقل ما شئت يحتمل
هو المشيد بأسرار الرجال فما يخفى على الناس ما قالوا وما فعلوا
كم زلة من كريم ظل يسترها من دونها ستر الأبواب والكلل
أضحت كنار على علياء موقدة ما يستتر لها سهل ولا جبل

والصواب « ... ظل يسترها » ثم يقول العتبي :

والعقل عقل مصون لو يباع لقد ألفيت تبياعه ما تسألوا

والصواب « يعطون ما سئلوا »

فاعجب لقوم مناهم في عقولهم أن يذهبوها بعل بعده نهل
قد عقدت بخمار السكر ألسنهم عن الصواب ولم يصبح بها علل
وازورت بسنات النوم أعينهم كأن لحداقها حولا وما حولوا

والصواب « قد عقدت بخمار ... وازّاورّت بسنات النوم أعينهم » أي مالت .

٢٢ — ص ٢٦ ، ٢٧ « وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي ابن أرطاة حين تتابعت الأخبار عليه ، وتتابع الناس في الأشربة السكرة على التأويل : أما بعد فإنه قد كان من أمر هذا الشراب أمر ساءت فيه رعية الناس حتى بلغت بهم الدم الحرام ، والمال

الحرام والفرج الحرام ، وهو يقول : شربنا شراباً لا بأس به . وإن شراباً حمل الناس على هذا البأس شديد وإثم عظيم ، وقد جعل الله عنه مندوحة وسعة من أشربة كثيرة ، ليس في الأنفس منها حاجة : الماء العذب ، واللبن والعسل والسويق ، وأشربة كثيرة من نبيذ التمر والزبيب في أسقية الأدم التي لا زفت فيها ، فإنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الظروف المزفتة وعن الدنان والحرار » .

والصواب « أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ... »

جاء في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ١٠١ « كان في الناس من هذا الشراب أمر ساءت فيه رِعْيَتُهم ، وغشوا فيه أموراً انتهكوها عند ذهاب عقولهم ، وسفه أحلامهم ، بلغت بهم الدم الحرام ... » وهذه الجملة أدق من الجملة التي نقلها ابن قتيبة .

والصواب أيضاً « ... من أشربة كثيرة ليس في الأنفس منها حاجة » .

والصواب أيضاً « ... فإنه بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن نبيذ الجرّ والدُّبّاء والظروف المزفتة » وليس لكلمة « الظروف » أي معنى في لغة العرب .

٣٣ — ٣٧ ، ٣٨ « وقد شهر المتأخرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تسكب ، وما علت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فدميم
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم ... وكأنهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائي » كما في العقد الفريد ٤ / ٣٢١ وليس للثبات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ، ويقوم عليه بناء معناه .

(يتبع)

السيد أحمد صقر

المدرس بالكلية عربية بمصر الجديدة

اليـــوم خمر..!

قصة القلب الحائر

بين حب مضطرم ومجـــد رفيع

اليـــوم خمر..!

كتاب الفن والأناقة والجمـال

اليـــوم خمر..!

كأس مترعة من خمر حلال

لذة للشاربين

تأليف

محمـــود تيمور

يطلب من ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بشارع الفجالة بالقاهرة

٢٧٠ صفحة — ٢٥ قرشاً